مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN: 1071-2335/ E-ISSN: 2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 10، عدد رقم: 04، ديسمبر 2021، صص: 63- 74

تاريخ الاستلام (2021/10/10) تاريخ القبول (2021/11/10) تاريخ النشر (2021/12/30)

النص الأدبي
من ميتافيزيقا المركز إلى ثقافة الهامش

The Literary Text:
from the Core Metaphysics to the Margin Culture

محمد دبيح[1]، محمد جواد مكيكة[2]

[1] جامعة ابن خلدون ـ تيارت (الجزائر)، moha_debih@yahoo.fr

[2] جامعة ابن خلدون ـ تيارت (الجزائر)، dr.mekika@hotmail.com

ملخص:

ليست القراءة مجرد لعب على وتر محدد من أوتار النص الأدبي، أو مقاربة جوفاء لأحد جوانبه، أو تكريس لمنطق الالتزام الذي يطيح بطاقات اللغة، ضمن هذا العالم أو النظام، إنما القراءة أمام هذه التحولات الفكرية والأدبية التي يشهدها المشهد النقدي اليوم، نشاط فاعل يختلط فيه النظام بالفوضى والمنهج باللامنهج والحقيقة بالوهم والقصد باللاقصد، لتتداخل الحدود والخيوط راسمة أبعادا متشابكة فضفاضة تخلقها معالم الانجراف والانزلاق الدلاليين، لقد تحولت القراءة بناء على هذه التحولات إلى استراتيجية موجبة لا تبحث عن المعلوم بقدر ما تحتفي بالمجهول، فهي بذلك فاعلة فضاء وكثافة وسمكا، ولقد صارت كذلك لأن مقاييس المقاربة قد تغيّرت و إيديولوجيات الفكر قد تحيّنت، ولعل رهان هذا التحول هو نسق ونظام المساءلة ذاته، والذي بات اليوم يتّجه صوب مواطن وحدود جغرافية جديدة في النص الأدبي.

الكلمات المفتاحية: التأويل، القراءة، الهيمنة، السلطة، الشرعية، الهامش، المركز

المؤلف المرسل: محمد دبيح، الإيميل: moha_debih@yahoo.fr

Summary:

Reading is not a mere playing on a specific chord from the literary text, or a hollow approach to one of its aspects, or a devotion to the logic of commitment that destroys/topples language cards, within this world order or system. However, reading in front of these intellectual and literary transformations that the critical scene is witnessing today, is an active activity in which order is mixed with chaos, method with non-curriculum, truth with illusion, and intended with unintended, to overlap borders and threads, drawing loose interwoven dimensions created by semantic drift and slip features. Based on these transformations, reading has turned into a positive strategy that does not search for the known as much as it appraises the unknown. Thus, it is active in space, density and thickness, and it has become so because the standards of approach have changed and the ideologies of thought have been updated. Perhaps the bet for this transformation is the system and the accountability system itself, which today is heading towards new citizens and geographic borders in the literary text.

Keywords: Interpretation, reading, hegemony, authority, legitimacy, margin, center/core

إنّ الحديث عن قراءة الممكن، بات اليوم مرهونا بجماليات التجاوز، والخرق، والتعدّي والانتهاك، وهي مواصفات من الجنون تحديد موطنها في فضاء المركز، إن الحديث في فلسفة الهامش أو كما يصطلح عليه بعض النقاد بتسميته بثقافة الهامش، هو في الواقع حديث عن لغة التمرّد والتجاوز لكل سلطة أو صوت يدّعي المركزية، وبهذا فإن سؤال الهامش في النقد الجديد وفي ضوء دينامية الفكر النقدي الحديث وسيرورته وتحولاته، بحث عن ضرورة تجاوز المألوف والنمطي المتداول من المقاربات والمساءلات النصية، وعلى هذا يتبين لنا كيف أن سؤال الهامش لا يقتنع ولا يرضى بكل ما هو جاهز من القوالب والمستهلك من المعاني، وعلى هذا ندرك مدى القرب والتقاطع بين سؤال الهامش وظلال المعنى وصدى الدلالة.

ومن هنا ارتبط الهامش بالمعارضة ومنطق الرفض والتحرر من هيمنة ثقافة المركز، إلى أحادية المقاربات النصية بالهشاشة وابتذال والتواطئ، مع فلسفة النموذج ومنطق المقدّس الذي لا يمكن مجاوزته أو مقارعته أو الاحجام عنه كونه تمثيل للسلطة والتسلّط

1_مسارات سؤال الهامش:

يبحث سؤال الهامش عن مواطن الضعف في النصوص الأدبية، والاهتزاز والخلخلة التي تجعل النص يعيد حساباته في تعامله مع القارئ المتسلّح بهذه الفكرة، لنقف هنا أمام حقيقة مهمة وهي أنّنا كنّا أميّين إلى حدّ ما ومغفلين، حين كنا ننظر إلى المركز أو ثقافة المركز على أنّها كل شيء في النص، وغاية كل قارئ يحاول أن يصل إلى جوهر النص وقاعه، وأنّ الهامش ما هو إلا

مضيعة للوقت، وهدر للجهد، فالجميل كل الجميل هو ما يحمله المركز، لنقف على رؤية جديدة، وهي أن المركز لم يكن سوى قناع مضلل ومسار ومسلك هو في الواقع بعيد كل البعد عن مقومات القراءة الجمالية الحقّة، التي تتجاوز المألوف وتطرق أبواب المقدّس لتتجاوزه وتنتهكه، وتتمرّد عليه من خلال طرق قضايا ومواضيع وطرح أفكار كانت ممنوعة من التداول. وفي هذا مفارقة ضمنية بين التفكيك والنقد وهي في الواقع مفارقة تجاوز وتعدّي إذ لم يسلم حتى النقد نفسه من تصورات التفكيك وثقافة الهامش وفي هذا إيذان عن قراءة ثانية وجديدة للنقد وفي هذا تجاوز للمفهوم المبتذل والاعتباطي والساذج للنقد ذلك الذي لا يتعدّى حدود التقويم والفصل والحكم إلى رؤية جديدة تجعل النقد ذاته خاضعا لإجراءات ومنطق التفكيك وذلك بجعله يتنازل عن علوية الاحكام القطعية والمتحجرة القارة وذلك بجعل كل فكرة وكل قضية هي مناط بحث ومساءلة وتحيين

إن الحديث عن مركزية الهامش وهامشية المركز هو في الواقع حديث عن تحول كبير في مسار الفكر التفكيكي وجينالوجيا الابداع عموما ذلك أن الانتقال إلى المركز هو في الواقع جرأة فكرية بات يمارسها الناقد ليحفر ويبحث في الزوايا المعتمة والمظلمة في النص الأدبي كون الهامش قد أضحى اليوم صورة من صور التنوير الفكري الذي يفرض منطق المساءلات والتشكيك الذي لا ينقطع إذ ليس هناك شيء اسمه قطعي أو مثالي أو مقدس أو تجاوز لخطوط حمراء بل كل الأفكار هي اليوم موضوعة على طاولة النقد والتشريح وإعادة القراءة أو ما يطلق عليه اليوم بنقد النقد كون هذا المسار وهذه الاستراتيجية هي السبيل الوحيد لفلسفة التنوير والطريق الأوحد للحفر بعمق والبحث عن فضاءات ومسالك جديدة داخل النص الأدبي من هنا فإن صراع المركز والهامش هو في الحقيقة صراع بين فلسفة تفرض عليك أن تسلّم عقلك وبين أخرى تقول عكس ذلك ولعل القديم أو التراثي هو صورة ونموذج حي ذلك الي يرفض الهامش أن يسلّم له كونه احتكار للإبداع ضمن نسق وفضاء مغلق عقيم من حقه أن يكبّل كل طاقات الفكر والابداع

لقد جاءت ثقافة الهامش لتكون صدمة للنقد ولأصوله ومبادئه ونهاية كل فكر إقصائي لا يعترف بالآخر ولا يؤمن بمنطق الاعتراض إذ يصير "كل مفهوم تحديدي قابل للتفكيك"[1] لتتلاشى بذلك مسارات التحجّر وتسقط أقنعة الحقيقة ولا يبقى إلا الوهم

2_صراع المركز والهامش:

نشأ هذا الصراع بين المركز والهامش، لتتمخض عنه رؤية جديدة، تسعى إلى تتويج الهامش ومناشدته، باعتبار اليوم قد تحوّل إلى حتمية نقدية وفكرية بشكل عام، تعكس رؤية الناقد في

التحرر والانفكاك من قيود وسلطة المركز، باعتبارها حلقة أو فضاء منغلقا يزيد من رتابة ومعيارية وتحجّر الآليات النقدية ويصيبها بالعقم.

لقد بات الحديث عن الهامش اليوم من قبيل البحث عن مناطق جديدة في النص، عن جغرافية مختلفة لهذا العالم الغامض، وهي مناطق ومساحات كانت من قبيل المتروك والمهجور كونها لا تسمن ولا تغني من جوع، لقد كانت هذه الأخيرة صوتا مكمّما متغافلا عنه، وكأنّه غير موجود رغم أنّه صوت شرعي ورغم أنّه قادر على الإنتاج كما وكيفا، إلا أن صوت المركز كان صوتا قمعيا جائرا منعه من ممارسة هذا الحضور والفاعلية والايجابية في الآن ذاته.

ولعل الحديث عن أفكار جديدة من قبيل الشكل ودلالة الشكل وأولويته، في مقابل المضمون، والحديث عن مفهوم العتبات النصية التي تطرّق إليها **جيرار جينيت** في كتابه " عتبات" مثل غلاف الكتابة ولونه والإهداء والتقديم والحواشي وعنوان الكتاب والفهرس، وتمظهرات الكتابة الجديدة للقصيدة، كالقصيدة الكاليغرافية والقصيدة البصرية، أو المجسمة، كل هذه الأفكار والمعطيات، أضحت كلّها تصبّ في صلب وجوهر سؤال الهامش، وهي كلّها أفكار إذا ما أمعنا فيها النظر وتفحصناها بعين نافذة وناقدة ألفيناها تنهض بمشروع نقدي جديد، يتجاوز المألوف ويعتنق لغة الخروج عن كل ما هو متداول مبتذل، ويتحرر من كل سلطة، فقد جاء زمن الفوضى الخلاقة والمساءلات المتمرّدة، والاختلاف أو التفكيك البنائين، والتي أضحت في ضوئه كل هذه التصورات تمثل هاجس القارئ الناقد، الذي يسعى إلى استفزاز النصوص وجعله يبوح من خلال ترك المتون والبحث في الحواشي والضفاف، الأمر الذي يجعل القراءة تدخل في مخاض جديد، وتجربة تخرج عن المألوف، من خلال رحلة التنقيب في الزوايا والخفايا، والمناطق المعتمة والمهجورة في النصوص الأدبية.

وعلى هذا يصبح سؤال الهامش« مسرحا للدلالات المتصارعة، والقراءات المتعددة وهذا من خلال تجاوز ميتافيزيقا الحضور، والتأسيس لنص وفلسفة الاختلاف»[2].

هذه الفلسفة التي بإمكانها أن تحول أرض هذا الصراع إلى فضاء خصيب، تعيش فيه المعاني والدلالات، تجربة الانزلاق وسفر الانجراف« يعد التفكيك استراتيجية قرائية تروم تقديم رؤية نقدية، قائمة على فك إسار مقفل للخطاب النقدي الغربي المركزي، وكذا اختراق المقول الذي يتبدى من خلال علامات النص»[3].

يتجلى لنا سؤال الهامش وكأنه صورة معادلة لمنطق التفكيك، فإذا كان هذا الأخير رفضا للمركزية الغربية بجميع صنوفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، فإن التفكيك يمثل رهانا يعوّل عليه الناقد لتفجير هذه المركزية، وجعلها تتلاشى بإقحام اللغة ومنطق الهامش

عليها، كون هذا الأخير قد أضحى مسارا جماليا يقتفي أثر المضمر واللامقول والمسكوت عنه في النص الأدبي.

يصبّ سؤال الهامش في صميم لعبة الاختلاف التي لا يحكمها منطق أو قانون، تسير وفق أفق المجهول/ المغيب/ الآخر لتقيم معه علاقة، لكن لا من أجل الطموح لمعرفته، أو من أجل تقريبه من لحظة تعرضه للعلم والإدراك، بل من أجل تمثل مجهوليته، إنّه منح الآخر المختلف غير الموجود هوية ما، تمكن من تأمله دونما أي فعل ومن أي نوع يمكن أن يعقب هذا التأمل»[4]

وإذا كانت ثقافة المركز تنظر إلى الأشياء والعوالم من حولها مستقلة عن بعضها البعض، كما أكدت على ذلك المعطيات النقدية البنيوية في سياق حديثها عن استقلالية النص، واستقلالية هذه الوحدة الكبرى عن غيرها من السياقات المحيطة والمجاربة لها، فإنّ الاختلاف وهو يتعالق مع منطق الهامش، يرفض هذه القطيعة والهوة بين الأنا والآخر، والأنا والوجود، والأنا والتاريخ، وفي هذا السياق يقول **علي حرب**: « وإنّه قدرنا لأنا الأنا تنبني أصلا بالعلاقة مع العالم الآخر والوعي بالذات، يمرّ عبر الآخر... وهو شطرنا لأننا لا ننفك ننقسم على أنفسنا فنغاير ذواتنا وتتماهى مع الغير ضربا من المماهاة، تنظر في ذواتنا وتكتشف بعدا من أبعادنا المجهولة»[5]فعندما تحتجب الحقيقة ويحتجب معها المركز نلفي أنفسنا نسائل ذواتنا مساءلة جديدة بل من نوع خاص فنتلمس أصقاعا وأقطارا أخرى داخلها فنرتحل نحو المعتّم والمطموس والمقهور فيها بله ونحتفي بكل هذا لنكتشف في الأخير كم كنا غرباء عن ذواتنا فنعقد معها جسورا وأواصرا جديدتين فنتعرف عليها وكأنه أول لقاء يجمع بيننا ذلك أن المركز وسلطته وهيمنته جعلت من معرفتنا لذواتنا وللآخر وللتاريخ رؤى لا تتجاوز حدود الثابت الواحد وهي تصورات من حقها أن تجعلنا نتجاهل إمّا طوعا أو كرها الاخر فينا فنتعامل معه معاملة الحاضر الغائب بل المغيّب فهو والحالة هذه مقصى ومعزول ليس له من الامر شيء غير آبهين ولا مدركين بما يكتنزه من أبعاد ويخفيه من زوايا وأبواب

3_ سؤال الهامش ورهانات المعنى المؤجّل:

لقد أضحى الحديث عن الهامش رهانا يعوّل عليه كل ناقد يروم وينشد التشكيك والهدم، قصد تهديد مركزية الفكر والعقل معا، وتبديد في الآن ذاته لهذا السلطان والحضور المطلق، ومن هنا يغدو الهامش مساءلة جديدة لكل ثابت وكائن، وإعادة قراءة أو قراءة ثانية لمركزية هذا اللوغوس، وكتابة جديدة لميلاد ما يسعى بما بعد النصانية، التي كشفت وكسرت في الآن ذاته زيف ووهم سلطة المركز، حيث ضياع وتحلل المثالي والنموذجي الفلسفي، من هنا تأتي جهود **دريدا** ورغبته« في التأسيس لفكر الاختلاف، عبر التفكير في الكتابة كأصل للكلام، وكهامش يسكن قلب

المركز، ماهي إلا محاولة لكسر طوق تلك الأزواج الميتافيزيقية التي ظلت تأسر الفكر الغربي، والدعوة إلى إعادة بنائه من جديد، وفق استراتيجيات لا تنظر إلى الهامش باعتباره خارج المركز، بل باعتباره النقطة التي يتخلخل عندها المركز، ويبدأ عندها الاختلاف... إن اقتران التفكيك بهذه المهمة المزدوجة (الهدم والبناء) يظهر أن التفكيك يحمل في ذاته معنى الاختلاف، بقدر ما هو هدم لتاريخ الفكر بوصفه تمركزا حول الذات والعقل والصوت، وتاريخا خطيا للمعنى والحقيقة، هو كذلك بناء وإعادة رسم معالم جديدة للفكر، وإعادة رسم معالم جديدة لفكر كوني ينأى عن كل مركز، أي عن كل ميتافيزيقا»[6]

لتظهر بذلك وعلى يد مجموعة من التحولات التي أجراها **جاك دريدا** طفرة حديثة، بات يعيشها المشهد النقدي، تلك التي بات يحتفي فيها بميلاد ما بات يطلق عليه اليوم بمركزية الهامش، وهي صورة أقرب ما تكون لطفرة الشكل، وثورة الظاهر أمام الباطن، حيث بتنا نسمع بما يطلق عليه اليوم بعمق الشكل، وهي مرحلة « تمجّد الصورة مقابل المحتوى، والشكل بدل المضمون والمظهر عوض المخبر، والمبنى محل المعنى، والظاهر مكان الباطن، والسطح بدل العمق، والمنهج عوض الموضوع... وصارت العلامات تتدرج وفق بعد يمكننا أن نطلق عليه بعد الأعماق شريطة ألا نفهم من هذا البعد الباطني وإنّما بعد العمق الخارجي»[7]

لقد أضحى سؤال الهامش، أو ثقافة الاختلاف« فتحا لمشروع الحوارية، وإلغاء لثقافة المطابقة والائتلاف التي تهيمن على الهوية المركزية الغربية، وتشكل ميتافيزيقاه، ومن هنا فأن التفكيك الذي يدعو إليه دريدا لا يرتبط بالهدم أو التدمير، بقدر ما يرتبط بإمعان النظر في تلك المتضمنات التي ترسبت في لغتنا، واحتلت منها ومن تفكيرنا موقع الثقة المطلقة»[8]

وانطلاقا مما سبق يظهر لنا كيف أن سؤال الهامش هو مجموعة من الاستراتيجيات والمقاربات، وكذا الألاعيب على حدّ تعبير علي حرب، أي تقوم على المراوغة والمخاتلة، وزعزعة الأسس، والقواعد، وحتى المسلمات، ويخضع النصوص إلى رفض منطق التصنيف والجاهز والنهائي فلا مكان لكل هذه الثنائيات، وإنما هي آليات تبحث عن اللاتحديد أو اللاتجنيس وإلى التكثيف، والتأجيل والبعثرة والإرجاء المفتوح. ذلك أن المنطلق هنا يقوم على التشكيك الجذري بمسلمات النزعة الانسانية، وإنجازاتها وضرورة تجاوز مقولات التنوير، والاعتماد على العقل الخالص، ومركزية الانسان، فهذه المقولات تحتاج إلى مراجعة كاملة»[9]

لقد اخترق سؤال الهامش لغة المعياري والقطعي، ليسافر مرتحلا نحو المجهول، فيلبسه لباس الإيجاب كما تصوره أدونيس، إنّه والحالة هذه يعوّل على التشكيك، ونسف أصول المسلمات الانسانية، وما يعتريها من قدسية الأمر الذي انعكس على مجموعة من المعطيات، ومنها المعاني التي توسعت وازدادت عمقا وتحولا« فالمعاني لم تعد منحصرة بالعلامات الكلامية، بل امتدت

لتشمل العلامات غير الكلامية»[10] الأمر الذي يساهم في التأسيس لنمط جديد من القراءة، تلك التي «تبقى قراءة ممتدة في الزمان والمكان، لا يعتريها ضعف ولا يخالطها وهن، لأنها لا تأنس بالاتّباع، وتستسلم للسماع وتقنع بالمعطى الثابت، لكنها قراءة يحكمها الإبداع، وتوجهها الرغبة في اختراق المجال اللفظي اختراقا يتيح ضروبا من الفهم والادراك»[11] إنه أفق سميك كثافة وفضاء وتفاعلا « أفق غني بتشظيات المعنى وضبابيته»12

وإذا كان " الانفتاح... يعكس درجة الإشباع النفسي، والإدراكي لدى القارئ الذي يسعى جاهدا إلى تحصيلها عبر شبكات النص، من خلال الاستشراف الجمالي والفني"[13] فإن التأجيل سيجعل من كل هذا عملا مضاعفا ومكثّفا، وأكثر سمكا مما عهدناه في منطق الانفتاح، ومن تمام هذه المضاعفة أن لا تنتهي حدود توالد العناصر داخل النص الأدبي عند محطّة التناسل، الذي قد يكون مجرّد عملية يائسة لتحقيق هذا الانفتاح، وذلك لأن هذا هو المعهود المتعارف عليه، إن نحن رمنا تحقيق هذا البعد، ولكن ماذا لو كان كل عنصر يؤجّل بعضه بعضا، تماما مثلما هو حاصل في الكتابة المشهدية أو لغة التجسيم، حيث عوالم المرئي، حين " تتراجع اللغة الواصفة لتفسح المجال أمام المشهد، حتى يأخذ أبعاده الحقيقية... "14

وعلى هذا يغدو التفكيك ضمن تجربة الانخراط وجماليات المعنى المؤجل تأكيدا على ضرورة التمسّك في استراتيجية جاك دريدا وذلك في تقديم قراءة جديدة للثابت وللمركز والهامش والاهم من هذا قراءة جديدة لسيرورة المعنى وتوالد الدلالة بل قراءة ثانية لمنظومة الفكر الغربي بصفة عامة " وإعادة النظر في المفاهيم التي تأسس عليها الخطاب كخطاب ميتافيزيقا مثل الحقيقة، العقل، الهوية، والحضور والأصل.... "15 وإذا ما أسقطنا هذه المعطيات على جماليات المعنى المؤجّل التي باتت تفرزها ثقافة الهامش فإننا سنلفي أنفسنا في رحلة سؤال أسطوري يضعنا "ضمن مناخ استفهامي تساؤلي يرفض منطق الجواب، ويؤيّد عبث السؤال، تبعا لمشروع حرّ يعتمد على الاستنباط والاستدلال والاستقراء، ومن ثمّ فهو لا يسعى إلى إثبات، ولا يصل إلى يقين، وهو مشروع القراءة السميائية التي تثير سؤالات النص، ولا تجيب عنها ضمن شروط الوصف والتفسير والتأويل، الذي يضع كل يقين قيد السؤال"[16]

فالدال لا يولّد مدلولا بل دالا آخر أشمل وأعمق من الذي سبقه، وقد تتخذ هذه السيرورة شكلا أعمق " إذ يتحول الفهم من اللغة إلى الماوراء اللغوي، ومن علاقة التواصل الخطّية، إلى فضاء عمقي، يخرج بالدلالة من ثنائية الدال والمدلول، إلى البحث في مدلول الدال ومدلول المدلول"[17]. وهذه هي بالفعل القراءة التي يؤرّخ لها منطق التأجيل، " قراءة ممتدّة في الزمان والمكان، لا يعتورها الضعف ولا يخالطها وهن... قراءة يحكمها الإبداع وتوجّهها الرغبة في الاختراق... "[18]

خاتمة:

لم يعد سؤال الهامش مكتفيا باستنباط المعاني بطريقة حرفية، كما كان عليه التأويل القديم الذي عرف في التراث النقدي العربي القديم، بل هو « حفر خلف النص، ليصل إلى النص الباطني (الحقيقي= الغائب) الذي يرشح النص لعطاءات كثيرة»[19] إن المساءلة التي يقدمها سؤال الهامش في انعكاسها على القارئ بالدرجة الأولى، هي التي تتحقق بها« إرادتي الحرة في المعنى والصورة والزمن والوظيفة»[20] يحملنا سؤال الهامش لنقد عدد من المفاهيم المتصلبة، والتي عانى منها النقد طويلا وأصابته بالغبن، وعلى هذا قد « نستشهد بالنقد النيتشي للميتافيزيقا، نقد مفاهيم الوجود والحقيقة، والتي استعيض منها بمفاهيم التفاعل والتفسير والعلامة(العلامة دون حقيقة حاضرة)»[21]هذه الحقيقة غير الحاضرة أو غائبة أو اللاحقيقية، هي صلب فكرة الاختلاف الذي من حقه أن يجعل« اللعب الحر قطعا للحضور، وحضور العنصر هو دائما إشارة دالة وبديلة منقوشة في نظام من الاختلافات، وحركة السلسلة اللعب الحر هو دائما تفاعل للغياب والحضور»[22]

إنه تفاعل يلقي بظلاله على المعنى، فتصبح « هوية المعنى ضمن الاختلاف»[23] كما لم يسلم مفهوم الكتابة من أثر هذه التحولات، فلقد تحوّلت الكتابة عند دريدا إلى « اختلاف، إنها ليست كلاما ولا أثرا كتابيا للكلام»[24] والأمر ذاته ينطبق على الصوت« فكل صوت phonème يتشكل من خلال الاختلافات التي تجعله متعارضا مع الأصوات الأخرى، كل الدوال تنتج بواسطة الاختلاف الداخلي للنظام ولا شيء يوجد من هذه الجهة إلى تلك غير اختلافات وآثار الآثار، دون أن يكون هناك مركز أو بداية »[25] وبهذا يشق سؤال الهامش متسلحا بفلسفة الاختلاف طريقه نحو« التشكيك في كل خطابات التحرر، ويفضل قبول سمة مجتمع الفوضى والتطرف، حيث لا توجد قوة بوصفها واقعا أكثر من هذا»[26]

لقد أضحى سؤال الهامش ووفق هذه المسارات والأنساق المصرحة والمضمرة على حدّ سواء، يفرض مسلكا جماليا جديدا، يحتفي بالمجانية، ويعلي من قيمة الحواف والضفاف، فليس بالضرورة أن يكون كل جميل هو ما يقدمه المركز، وليس بالضرورة أن يكون كل فني ذا تأثير مستمدا من المركز، بل بات الهامش يمثل رهان كل جمالي واعد ومنفتح ومغاير، كل هذا قصد الوقوف على التوترات والتصدعات التي تهز النص كل حين، إنها " محاولة لاستعادة مناطق مجهولة داخل ذواتنا، أفرزتها الممارسة الإنسانية لكنّها ظلّت مستعصية على التحديد المستند إلى الفهم النفعي للحياة، فهذه المناطق لا يمكن الإحاطة بها من خلال حدود مألوفة... فمداها أوسع من ذلك وحجمها أعمق "[27]

لذا كانت برغماتية الهامش، لا تستند ولا تشترط حصول الدلالة، أو التّلذّذ بأن تتراءى أمامنا منفتحة، لا مجال لإيقاف نزيفها، وإنّما اللّذة والمتعة الحقيقية هي في سيرورتها الإنتاجية، وفي طبيعة المسالك والمسارات التي تنتهجها لتحقيق الغاية الأولى، وهنا مكمن المفارقة بين الانفتاح والتّأجيل، فالأول محكوم بمجموعة من الغايات التي تسطّر حدوده البعيدة، بخلاف الثاني الذي ينأى عن هذا الإكراه، وينظر إلى نمو الدلالة وتحولها، في ضوء جماليات المسلك والمسار، وعلى هذا " يمكن القول ببساطة أن المعنى لا وجود له، بل. هناك فقط مسارات، وكل مسار يبنى انطلاقا من اختيار يقوم به القارئ، ولن يكون هذا الاختيار بالضرورة صحيحا... فلا جدوى إذن من البحث خارج السيرورات، استنادا إلى هذا التصور فإن القراءة الجديدة للنصوص، لا تفترض وجود معنى كلّي يجب البحث عنه، فهذه حكاية لا أعتقد أن هناك من يؤمن بها حاليا، بل تنطلق من فرضية وجود مسارات أو سيرورات مرتبطة بالإمكانات التي تتألّف وفقها وحدات المعنى في نسق بعينه "[28].

هذه المسارات والتداخلات وهذا التيه الذي يخلقه الهامش الذي يجعل الاحتفاء بهذه الدروب الجديدة هو مناط السحر واللذة في النصوص الأدبية دروب من حقها أن تتجاوز منطق المساطير وتعلي من قيمة المتباين والمتعارض على حدّ سواء " فالنص الأدبي لا يهدف إلى معناه، ولكنه يهدف إلى سحره وإلى أثره في النفس، وفي اللغة "[29]

مراجع البحث وإحالاته:

1 جاك دريدا، استراتيجية تفكيك الميتافيزيقا، ترجمة وتقديم: عزالدين الخطابي، إفريقيا الشرق، 2013، ص 06.

2حطاب حنان، التفكيك نحو التأسيس للمختلف، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 15، العدد 27، 2018، ص 108.

3المرجع نفسه، ص 109.

4 عادل عبد الله، التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل، ط1، دار الكلمة، دار الحصاد، دمشق 2000م، ص16- 17

5 علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، د ط، 1995م، ص30.

6 عمر التاور، استراتيجية التفكيك عند جاد دريدا الهدم والبناء، مجلة تبيين، 30، ع03/09، 2014م، ص29.

7 عبد السلام عبد العالي، ثقافة الأذن وثقافة العين، دار توبقال للنشر، ط02، 2008، ص 62- 63.

8 حنان حطاب، التفكيك نحو التأسيس للمختلف، ص111

9 شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005م، ص213

10 نقلا عن المرجع السابق، شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، ص 214.

11 عزيز محمد عدمان، حدود الانفتاح الدلالي في قراءة النص الأدبي، مجلة عالم الفكر، ع3، مجلد 37 مارس 2009م، ص 75

12 علي جعفر العلاق، الدلالة المرئية قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، دار الشروق الأردن، ط1، 2002م، ص27

13عزيز محمد عدمان، حدود الانفتاح الدلالي في قراءة النص الأدبي، مجلة عالم الفكر العدد03 المجلد 37 مارس 2009، ص 75

14 حبيب مونسي، شعرية المشهد في الإبداع الأدبي دراسة، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003، ص155.

15جاك دريدا، استراتيجية تفكيك الميتافيزيقا، ترجمة وتقديم: عزالدين الخطابي، إفريقيا الشرق، 2013، ص 06.

16 عبد القادر فيدوح، ضمير الشعر الجزائري والتساؤل التأويلي مقاربة سيميائية لنص قديم، مجلة تجليات الحداثة . جامعة وهران .، العدد 02، جوان 1993، ص 55.

17. محمد سالم سعد الله، مملكة النص التحليل السيميائي للنقد البلاغي الجرجاني نموذجا، عالم الكتب الحديث إربد . الأردن، ط 01، 2007، ص87.

18.عزيز محمد عدمان، حدود الانفتاح الدلالي في قراءة النص الأدبي، ص 75.

19محمد عزّام، اتجاهات التأويل النقدي من المكتوب إلى المكبوت، منشورات وزارة الثقافة، دمشق2008م، ص 297

20 عبد الواسع الحميري، في آفاق الكلام وتكلم النص، دار الزمان ط1 2009م، ص 287.

21 ك. م. نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، تر: عيسى علي العاكوب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1988م، ص 159

22 المرجع نفسه، ص 160

23 وليم راي، المعنى الأدبي من الظاهرية إلى التفكيكية، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، ط1، 1987م، بغداد ص161

24 ج. هيوسلفرمان، نصيات بين الهرمنيوطيقا والتفكيكية، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2002م، ص 265

25 مجموعة من الكتاب، نظريات القراءة من البنيوية إلى جمالية التلقي، تر: عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار، سورية، ط1، 2003م، ص 95

26 محمد سبيلا، عبد السلام بتعبد العالي، ما بعد الحداثة 2 فلسفتها، دار توبقال للنشر، ط1، 2007م، ص 68

قائمة المراجع

1. ج. هيوسلفرمان، نصيات بين الهرمنيوطيقا والتفكيكية، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2002م
2. حمد عزّام، اتجاهات التأويل النقدي من المكتوب إلى المكبوت، منشورات وزارة الثقافة، دمشق2008م
3. شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2005م
4. عادل عبد الله، التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل، ط1، دار الكلمة، دار الحصاد، دمشق ، سنة: 2000م
5. عبد السلام عبد العالي، ثقافة الأذن وثقافة العين، دار توبقال للنشر، ط02، 2008
6. عبد الواسع الحميري، في آفاق الكلام وتكلم النص، دار الزمان ط1 2009م
7. علي جعفر العلاق، الدلالة المرئية قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، دار الشروق الأردن، ط1، سنة: 2002م
8. علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، د ط، 1995م
9. ك. م. نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، تر: عيسى علي العاكوب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1988م
10. مجموعة من الكتاب، نظريات القراءة من البنيوية إلى جمالية التلقي، تر: عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار، سورية، ط1، 2003م
11. محمد سبيلا، عبد السلام بتعبد العالي، ما بعد الحداثة 2 فلسفتها، دار توبقال للنشر، ط1، 2007م
12. وليم راي، المعنى الأدبي من الظاهرية إلى التفكيكية، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، ط1، 1987م، بغداد

المجلات العربية

1. حطاب حنان، التفكيك نحو التأسيس للمختلف، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 15، العدد 27، سنة: 2018
2. عزيز محمد عدمان، حدود الانفتاح الدلالي في قراءة النص الأدبي، مجلة عالم الفكر، ع3، مجلد 37 مارس 2009م

3. عمر التاور، استراتيجية التفكيك عند جاد دريدا الهدم والبناء، مجلة تبيين، 30، ع03/09، 2014م

27. سعيد بن كراد، مسالك المعنى دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية، دار الحوار اللاذقية سورية، ط01، 2006، ص 173.

28. المرجع نفسه، ص 186.

29. قاسم المومني، في قراءة النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط01، 1999، ص 24.